مجلة

الجنس اللطيف

السنة الثالثة | العدد الثاني | ٥ يونيو ١٩١٠

خطبة الباحثة بالبادية

(تابع ما قبله)

(٣) دور المراهقة

في هذا الدور يهتم الاهلون بارسال اولادهم الذكور للمدرسة ولا يهتمون كثيراً بتثقيف عقل الفتاة على انهم قد اخذوا يقلدون الغربيين اخيراً في تعليم الفتاة وانما لم يجيء التقليد نافعاً لنا ولا محكماً في ذاته فالفتاة الغربية تتعلم العلوم الى ان تصل منها على درجة عالية او درجة محمودة اما فتاتنا المصرية فلا تكاد تقرأ وتتعلم قشوراً بسيطة من العلم حتى تستغني بها عن الاستمرار في الاستفادة

ماذا تقرأ الفتيات في سن المراهقة . لا يقرأن الا الروايات الغرامية وهن في ذلك الوقت قابلات لشدة الانفعالات النفسية فيتأثرن بحوادث العشق والهرب وتنطبع في ذاكرتهن اشعار وجمل غرامية مما يقرأن وتمر امامهن صور تلك الحوادث كالصور المتحركة فلا تعدم ان تلقي اثراً في عقولهن اللينة

ان الآباء ملومون في هذه الحالة لعدم اختيارهم كتباً نافعة تقرأها فتياتهم

من رأيي ان تمنع الفتاة في سن المراهقة هذا من الاختلاط بالشبان . وحاشا ان امس بكلامي هذا شرف الفتيات وانما احب ان انبه الى شيء طبيعي والعاقل من اتعظ بغيره ويكفي تجنبنا لمثل هذا الاختلاط المعيب

ان اهله ذاتهم هم اول العائبين له . والفتاة في هذا السن ككل انسان تطلب

الحرية ويجب ان تتروض وتخرج وهذان لا امنعهما عنها وانما انصح للامهات ان يرافقنهن وللآباء ان يراقبونهن مراقبة تخفى عليهن لان المراقبة ان كانت ظاهرة قد تضع في نفس الفتاة انها يجب ان تراقب وانها ضعيفة عن الذود عن نفسها واذا تملك منها هذا الشعور كان وبالاً عليها واذلالاً لها

ثم اذا ثبتت للوالدين مقدرتهما على حسن السير فلا بأس من اباحة الحرية لها في زيارة صاحباتها واري ان الحرية المطلقة والحجر المطلق كلاهما مضر فكما ان الاولى تسهل سبيل الفساد لمن تريدها كذلك الثاني يخلق في الفتاة ميلا لان ترى كل شيء ويعلمها طرق الغش والكذب فيكون قد جنى اهلها عليها جنايتين

بعض اضداد تعليم الفتيات يرون ان تظل الفتاة جاهلة خير لها من ان تتعلم لان التعلم يوسع عليها حيل الاختلاط الذي لا تبرره العادة ولا يسمح به اولياؤها وهي نظرية فاسدة لان التربية الحقة تحول دون ذلك فالفتاة الكاملة تجد من عفتها وقدوة اهلها وآداب نفسها ما يخيفها سوء الاحدوثة وتعلم ان سمعة الفتاة كالزجاج الصافي يتلوث من اقل الاشياء واذا انكسر فلا يجبر ـ اما الفاسدة فتميل اذا وجدت مسرباً سواء كانت عالمة او جاهلة وغاية الامر ان الجاهلة اسرع شططاً وادنى الى ان تشعر بنفسها وقلما تعرف نتيجة تصرفها السيء الا بعد وقوعها في سوء مغبته

يخرج بعض نسائنا عن حدود الادب والشرع زعماً باتباع المودة ولكن هناك فرقاً كبيراً بين (المودة) والخلاعة فان لبست المرأة آخر الازياء في بيتها فما عليها في ذلك من حرج ولكن اذا اظهرت زينتها للمارة وظلت تتلكأ وتضحك فتلك هي الخلاعة الشائنة ولا يجيء في مجلات الازياء (كالبرتان واللوفر) وغيرهما ففي اي كتاب قرأتها

ولو فطنت الفتيات الى ان اول شرط يشترطه الرجل في امرأته خاصة هو الحشمة والترفع عن البهرجة لما تأخرن لحظة عن الاقلاع عما زعمنه يقربهن في اعين الراغبي الزواج وهو في الحقيقة يبعدهن وينفر الرجال منهن . لست بذلك ادعو النساء الى التقشف او البعد عن الزينة فليس لي ان احرم ما حلل الله ولا أن في

الزينة للمرأة السعادة ولزوجها كذلك ولكن غرضي الاعتدال في الزينة الى عدم الخروج عن المعروف

(٤) الخطبة والزواج

تتعجل الفتيات كثيراً في انتظار هذا الدور ولو علمن مصاعبه ومتاعبه لما تعجلنه واظن ما يشوقهن اليه هو الزخارف والحلى الجديدة وما يقام للعروس من معالم الزينة وما يتقاطر عليها من التهاني والهدايا ولكنهن لا يدرين المسؤلية الكبرى التي تتحملها المرأة بزواجها وما قد يصيبها من الآلام النفسية في عيشتها الجديدة وشتان بين الفتاة تنام ملء عينيها ولا تسأل الا عن نفسها ويسعى ابوها واهلها في ارضائها وجلب ما تشتهيه لها من الملابس وغيرها وبين الزوجة تنتظر بعلها الى ما بعد نصف الليل وتبكر قبل بزوغ الشمس لتجهيز طعامه وتنظيم ملابسه وتظل يومها في بيتها او تلاحظ الخدم وعليها ان ترضيه وترضيهم وتخطب ود اهله وتقوم بتربية اولاده وهي بين كثرة العمل وتنوع المسؤلية تحاسب حساباً عسيراً على اقل هفوة وربما وجدت منه سكيراً فظاً او احمق وادهى من ذلك ان يتحفها بضرة شرعية او غير شرعية تأتي على ما بقى من رونق جمالها وسعادتها

خشى الافرنج ان يصابوا بما اصيب به اغلب اهل الشرق من الخطبة وما يترتب عليها من الشقاء المستمر وأجمعوا رأيهم على ان يتراءى العروسان قبل الخطبة مراراً ويتقابلا تكراراً ولكنهم افرطوا في الامر كما فرطنا نحن فيه وكلا طرفي كل الامور ذميم . لم يكتفوا بان يرى الخطيب خطيبته عدة مرات بل شرطوا ان يكون الزواج بعد الرضى او الميل المتبادل بينهما

وربما يمضي الشهور او السنين ثم يغضب الفتى على الفتاة بدعوى ان الاختبار لم يؤدِّ الى المرام وان القلوب لم تأتلف واذا كان اصل الفكرة وجوب الاختبار الطويل فيما يتعلق بالاخلاق والتأكد من الحالة الصحية كان العدول بعد الاختبار امراً غير مستقبح وانما يكون الاستقباح بعد الاعلان القطعي وهو لبس الخاتم عندهم

ولا شك ان التساهل الى هذا الحد فيه ما فيه من العيوب مما لا يخفى على الناقد البصير

والحق ان هذه المسألة من المعضلات الاجتماعية ولا خلاص من هذه العقدة الاّ باتباع سنة السلف من العرب في صدر الاسلام من مباشرة الفتاة خدمة الضيوف ومقابلة زائري اهلها لاستطلاع قصدهم والخروج في القرى ان كانت بها المساعدة في بعض الاعمال ويجب على الفتيان في مثل هذه الحالة ان لا يظهروا غرضهم امام الفتيات او يتعرضوا لهنّ بالخطبة فان ذلك مغاير للذوق والادب ومؤد لخجل الفتيات وانزوائهنّ وراء الحجب

وينبغي ان تعوّد الفتيات هذا الامر من صغرهنّ حتى لا يستغربه عند الكبر ويحسُنَ بشذوذه . وهذه الطريقة متبعة في القرى والبوادي المصرية فجبذا لو اقتدى بهم اهل المدن وانما يشترط في الاخيرة ان يكون خروج الفتاة مع ابيها او اخيها او احد محارمها . وعلى كل حال فالشيء الذي لا بد من منعه هو انفراد الفتى بالفتاة وطول المحادثة في غير ضرورة لما في ذلك من مخالفة الشرع واثارة التهم

الاقتصاد المالي والمنزلي

لا تكتفي المرأة الغربية بتنمية مالها فقط بل تعمل ميزانية مضبوطة لإيراد بيتها ومصروفه فلا تخرج عن حد الاعتدال في النفقات ولا تصرف درهما في غير موضعه وتفحص مشترياتها بنفسها كي تتأكد من جودتها واستحقاقها لما تباع به وتهتم برفو الثياب وتصليحها وتعمل من كل قديم جديداً وقد تغير شكل الثوب الواحد وزينته مراراً فيبين جديداً . نعم ان فينا تلقاء ذلك كرماً ولكن يجب ان لا يكون الكرم اهمالاً . فقد تقع بقعة صغيرة على جلباب من الحرير الغالي فاذا اهملناه لم يصلح للبس وان اعطيناه لخادمة او لامرأة فقيرة فقد ينفعها ثوب من القماش البسيط (الشيت) اكثر من ذلك الثوب الجميل وبهذه الحالة يكون كرمنا غير مجدٍ فلو اجتهدنا في ازالة تلك البقعة او مداراتها بشيء من الزينة (الكلفة) وجُدنا على تلك الفقيرة بثوب بسيط لكان انفع لنا ولها

تقتصد المرأة الغربية من مالها بما تظهره من براعتها وعملها فهي تخيط لنفسها ولزوجها ولاولادها وتكوي ثيابهم اما نحن. فالبيوت المتوسطة كلها تكوي في السوق وتخيط كل شيء حتى التائه عند الخياطات

بعشرين قرشا يمكن المرأة الغربية ان تحضر طعاما لبيتها وتجعله لذيذاً ومشهياً بكثرة الجوارش (السلطة) والحلوى اما العشرون قرشاً عندنا فتعمل بها المرأة طعاماً ولكن غير منوّع ولا مشهٍ

ان الافرنج رجالاً ونساء يعرفون كيف يجتذبون الانظار ويجعلون الشيء المتوسط في الحسن جميلاً . قد رأين بضاعتهم وهي اقل متانة من بضاعتنا الشرقية ولكنهم يضعونها في حوانيت واسعة منارة بالكهرباء ويرصونها داخل الواج من الزجاج فتجتذب المارة ثم هم يختارون لتجارتهم محلاً من المدينة يكثر عليه القادمون والرائحون اما تجارنا فهم بمعزل عن ذلك التفنن قد يكون دكانهم في نقطة غير مطروقة كثيراً او يهملون في عرض بضاعتهم والاعلان عنها فتبور — مثل تجارنا في حوانيتهم كمثلنا في بيوتنا فنينا من الذكاء والمقدرة ما يمكننا من جعل بيوتنا حسنة ولكن قلة العناية هي التي تؤخرنا وتعوقنا

من حب العمل عندهن الرياضة في ساعة الفراغ فترين انهن يشتغلن كثيراً حتى وهن يطلبن الراحة اما نحن فنكسل ونطلب الراحة في ساعات العمل — ألم تسمعن بجمعية الصليب الاحمر وكيف تخاطر النساء فيها بحياتهن لمداواة الجرحى والتقاطهم ونار الحرب تستعر . ليس ينفي الهم ويضمد الجراح كالمرأة المؤاسية ان النساء المنخرطات في سلك تلك الجمعية يعرضن انفسهن للهلاك وتكبد مشاق السفر وتحتمل البرد القارص الى درجة الجليد بين سهول منشوريا وحزونها والحر اللافح في الاقاليم الاستوائية التي يذيب حرها راس الضب

وقد كانت نساء العرب يضمنّ نفس هذا الفعل الشريف في الحرب ويزدن عليه تشجيع المجاهدين وتغذية الجياد قال عمرو بن كلثوم من معلقته

يقتن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا اذا لم تمنعونا

وقد كانت مخاطرتهن هذه تثير الشجاعة في الرجال وتحملهم على الاقدام بدليل قوله

اذا لم نحمهن فلا بقينا بخير بعدهن ولا حيينا

الاخلاق —

عندنا الزار وهو ابو الخرافات ومفسد البيوت والغريبة لا تعتقد به وان كانت تصاب بأعراضه العصبية . فلماذا اختارتنا العفاريت مسكناً لها وان فرضنا المستحيل وصدقنا القائلين بتقمص الارواح فلماذا لا تلجأ الينا روح ارسطو وابن رشد وابي العلاء وغيرهم من الفلاسفة والمصلحين ام قضى علينا حتى في الكذب والترهات ان نكون دائماً متأخرات فلا يلبسنا الاّ (الشيخة رمانة وسفينة ويوسف مدلع) وغيرهم ممن لا يطلبون الا الخلاخيل والمصوغات والسيوف المذهبة

ولعل المتحضرات الحديثات يدعين قريباً ان الملائكة تقمصت باجسامهن لانهن احكم تصرفاً واحسن اختياراً واظن عفاريت الارض نفذت بكثرة الطلبات فليصرفن بهن الى السماء كما صرفه مخترعو الطيارات لما ضاقت بهم فجاج الارض وحينذاك يأنفن من ركوب الضأن والابل فيمتطين المخترعات الحديثة وان كانت لا تزال خطرة فلا تتيهنّ علينا البارونة دي لاروش فلربما نبغ عندنا مثلها كثيرات وان كان باعثهن (مودة الزار) لا العلم

المسرات وانّنا في جلب المسرات لمقصرات نحو انفسنا ومن هم في ذمتنا من الاهل والاولاد وحبذا لو اتبعنا طريقة المرأة الغربية في ذلك فانها تعقد الاجتماعات وتوالي السهر وتدعو اعضاء الاسرة الواحدة واصدقاءها لتناول الشاي او الطعام او الفسحة معا فيتجاذبون اطراف الحديث ويبدي كل منهم رأياً او حكاية لا تخلو دون فائدة او فكاهة ويتعاطون لعبات مختلفة لتنشيط اذهانهم وابدانهم ويتبادل المجتمعون الدعوة كلٌّ بدوره فيتراءى اعضاء الاسرة الواحدة واصدقاءها كل يوم تقريباً فينفون همهم ويأنسون بعضهم ببعض فيظلون في وئام ووفاء

الخدم

المرأة المصرية لا تقدر نفسها قدرها وطالما رأيت سيدة تضاحك الخادمات وتكاشفهن بأسرارها فلا يتأخرن عن اذاعتها في البيوت الاخرى وهذا من الخطل في الرأي . يجب ان يعامل الخدم بالرأفة ولكن لا تتعدى تلك الرأفة حدودها . ألم تستغربن مرة من ان خدمنا لا يشتغلون عندنا نصف ما يشتغلون في البيوت الافرنجية ومع ذلك تراهم هناك انشط وأهدأ خلقاً مما اذا كانوا في بيوتنا . السبب بسيط وهو ان المرأة الافرنجية تحفظ هيبتها فيخشاها الخدم وهي لا تخالطهم الا عند الامر والنهي ولا تحط من شأنها بمسايرتهم ومضاحكتهم وتعرض عليهم شغلهم وتريه لهم اول مرة ثم تتركهم وشأنهم فيشعرون بمسئوليتهم

(٥) دور الامومة

هذا الدور مرتبط بدور الطفولية ارتباطاً تاماً حتى يكاد يندمج احدهما في الآخر وعليه فكل ما قلته هناك اقوله هنا

النتيجة

ان الضعيف اذا لم يرزق قوة التمييز خيل له ان كل ما يأتيه القوي حسن . ذلك مثلنا امام المرأة الغربية فهل تردن ان نثبت للملأ خمولنا وخلونا من التمييز ام تردن ان نعمل على حفظ قوميتنا وتقوية روح الاستقلال فينا في الاجيال القادمة من اولادنا . اذا اردنا ان نكون امة بالمعنى الصحيح تحتم علينا ان لا نقتبس من المدنية الاوروبية الا الضروري النافع بعد تمصيره حتى يكون ملائماً لعاداتنا وطبيعة بلادنا . نقتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل نقتبس منها اساليب التعليم والتربية وما يرقينا حتى نبدل من ضعفنا قوة وانما لا يجوز في عرف الشرف والاستقلال ان نندمج في الغرب ونلاشي ما بقي لنا من القوة الضعيفة امام قوته المكتسحة الهائلة

كلمة في خطبة الباحثة بالبادية

قامت حضرة السيدة الفاضلة باحثة البادية (وهي من النوابغ اللائي نرجو ان يكثر امثالهنّ وتعم اراؤهن في هذا البلد علّنا نبلغ بالجنس اللطيف ما نتمنى من الرقي والتقدم) خطيبة في الجامعة المصرية بما عهد فيها من البلاغة وحسن البيان ففاهت بجواهر القول وآيات الحكمة في كل هامّ من الشؤون النسائية التي طالما خاض فيها الباحثون بشتات الفكر وتباين الآراء

طرقت في موضوعها ابواباً عديدة اجادت تبيانها كل اجادة واحسنت ايما احسان حتى اننا لا نشك في ان سيكون لخطبتها هذه اجمل اثر في نفس كل من سمعتها او اطلعت عليها ولا بد من ان يظهر ذلك بالفعل فنرى من ترقي ذلك الجنس ما يقر عيوننا ويبشرنا بقرب الحصول على ما ينسيه غيرنا بالسعادة العائلية

اشارت الخطيبة في حديثها الى امر اختلاط الجنسين ببعضهما وابدت رأيها فيه بأن لا بأس من استقبال الفتاة للزائرين في بيت والدها والقيام بخدمتهم ومخالطتهم بمراقبة ذويها وهذا رأي لا يشوبه خطأ فيما نرى ولو انه ليس كل ما نبتغي كي نصل بالجنس اللطيف الى ما نرجو له من الرقي وما نرجو منه من توفير اسباب سعادتنا ورفاهتنا . لكننا رأينا عدداً من الكتاب والادباء قد قاموا فأثاروا على رأي الخطيبة من غبار انتقاداتهم ما اظهره ملبساً بحلة مكروهة ومسحة منكرة حتى اننا نخشى ان يكون لاقوالهم تأثير على افهام البعض يضلهم عما هم اليه ساعون

بنى اغلب هؤلاء انتقاداتهم على حوادث حقيقية تتألم لفظاعتها ونخجل من مجرد تصورها ـ زعموا ان الحرية ونزع الحجاب هما السبب والباعث لوقوعها في الاقطار الغربية التي اظلت نساءها نعمة الحرية ولكن من امعن النظر ولو قليلاً تبين له خطأ هذا الرأي . فمن المعلوم ان كل شيء في العالم واقع تحت تصرفنا يمكننا بارادتنا المطلقة ان نستخدمه في الخير اذا سمت مبادئنا وفي الشر اذا ساءت وهذا لا شك صحيح حتى في اجلّ نعم الله

فمثلاً اظن ان لا احد يجهل فوائد انتشار السكك الحديدية في البلاد فقد كاد يكون امرها بديهياً ولكن لا يخفى انه يقع من قطارات هذه السكك حوادث فظيعة مؤلمة تذهب فيها النفوس وتزهق الارواح

فهل من اجل ان رأينا وسمعنا مرة برجل او طفل دهسه احد هذه القطارات يصح لنا ان نُدفق سخطنا على القطارات ومخترعيها

لا اظن ذلك فالسكك الحديدية نعمة من نعم المدنية لكن اتفق ان تسلمت ادارة احد قطاراتها الى يد اساءت استعمالها

وعليه فاذا كنا نعول في بحثنا على كل حادثة فردية تسبب من يد غشوم او فكر جاهل لكانت النتيجة ان نحرم العالم كل نعمة نفقت في سبيل الحصول عليها النفوس والارواح

فكذلك نقول انه امر مؤلم وفظيع ان تنتهك الحرمات وينتشر الفسق والفجور اذا عمت الحرية واختلط الرجال بالنساء وعليه فنتادي انه من العبث تحرير المرأة ومن فساد الرأي مساواتها بالرجل فلا كان هذا الرأي ولا كان كل من قال به اذ الاحرى بنا ان نحفظها في اعماق مظلمة من بيوتنا لا ترى فيها احداً مغلقين عليها من الابواب سبعاً طباقا

لكن مهلاً انى لنا الحق في هذا الحكم الصارم ومن أين نستمد حججنا فيه أمن اجل ان رأينا مرة ان والداً اهمل في ضبط بنيه او بناته فكانت النتيجة حصول مثل ما وصف الناقدون مما يندي له جبين الانسانية نحكم على الحرية والمساواة بانهما اصل هذه الشرور

واذا علمنا ان الأسر الراقية من فرنسا وغيرها من العالم المتمدين بعيدة عن كل تلك الاهوال الا ما ضلّ منها طبعاً فلماذا نظن ان هذه الشرور قاصرة عليها وحدها لانها بلاد الحرية مع ان بلادنا نفسها لم تخلُ منها بحمد الله

ولعمري لست ارى لماذا يتوقع الناس الشر من تحرير المرأة وتسهيل اختلاطها بالرجل كانهم يظنون انها لم تخلق الاّ لاتمام رغائب الرجل واذا رأى الرجل من

اي وجهه تقر باً الى المرأة انفعلت نفسه واخذ ينتفض ثائراً حتى يبلغ مأربه

ان اتفاق اعني مصادفة صلاحية جنس الدجاج لمأكلنا لا يفيد بان الدجاج لم يخلق الاَّ ليكون مطعماً للبشر وقد يمر الانسان في السوق بانواع الدجاج غثها وسمينها وشهيها وكريهها بدون ان يعلق على الامر اهمية او يقف ويتصور كيف يكون مأكل هذه الدجاجة — او تلك او تلك — لذيذاً فيحاول ان يثب عليها فيذبحها وربما ينهشها نيئة بلا طبخ

ولكن اظن انك لو اتيت بالدجاجة في قفص من ذهب وحجبتها ومنعت الناس من رؤيتها (الاَّ من يهمك فيها الذهب والفضة) فاظن ان كل من يمر بذلك القفص يقف وتبدأ نفسه تحدثه في عظم شأن تلك الدجاجة فيسيل لعابه وربما سولت له نفسه ان يخاطر ويكسر ذلك القفص وينال بغيته من تلك الدجاجة

وهاك من تمتعن بين ظهرانينا بنعمة الحرية ونزع الحجاب من وطنيات واجنبيات. اتلاحظ ان قد لحقت احداهنَّ مسبة او اهانة بسبب نزعها الحجاب او كانت اكثر عرضة لذلك من غيرها . سواء كانت احدى بائعات الفجل او زوجة لاحد القناصل ؟

وان شئت بياناً اوضح فعرج الى الريف حيث لا حجاب ولا انزواء . وحيث ترى الجنسين قد سارا بالاشتراك يداً في يد متعاونين في الزرع والحصاد . مترافقين في عمل ميزانية البيت والغيط . مجتمعين بالاجران وأفنية الدور والحلل بين السمر وتجاذب اطراف الاحاديث . فهل تجد الرجل هناك مع هذا الاختلاط ينظر الى المرأة بعين خبيثة او نية شريرة

ولو رغبت في استقراء دقيق عن ذلك فاعمد الى عدد من القرى والمدن مبتدئاً باوغلها في الريف حتى تصل الى اعظمها تحضراً وعمراناً . فلا شك عندي في انك ستجد ان الفساد يزداد بنسبة مضطردة مع زيادة تعلق الناس بالحجاب وانتشاره

ولذا فاني أرى ان تحجب السيدات لمن العوامل الفعالة في افساد خلق الكثير من الشبان

وفوق كل ذلك فاننا لا نريد بتحرير المرأة وتسهيل اختلاطها بجنس الرجل

ان تكون مطلقة الى ما لا قيد ولا مراقبة كي ترافق الاجنبي في النزهة في الخلاء وزيارة مراسح التمثيل والملاهي او مخاصرته في المراقص أو مشاركته في الغناء كلاً ثم كلاً حمى الله بلادنا من شرّ هذا البلاء

انما نريد ان لا نحرم المرأة من اجتماعات الرجال والاشتراك معهم في البحث والتفكير . نريد ان نقصرها في مطبخنا بمعزل عن الزائرين او على فرشها في قاعتها المظلمة حيث تركبها الهموم وتعتريها الامراض

نريد ان لا نوجد مانعاً من وجود فتياتنا معنا في زياراتنا العائلية ومرافقتهنّ لنا في اجتماعاتنا البيتية واخذهنّ القسط في التكلم بيننا وابداء آرائهنّ التي منها يستخلص الشاب اذا كان حاضراً كثيراً من خلق الفتاة ووجهاتها في الحياة ومشاربها في المعيشة ولا ريب عندي في ان تجارب القارىء قد دلته على ان كلمة واحدة قد تترجم عن خلق المتكلم وامثلة ذلك كثيرة يتعدد حدوثها في مشاهدتنا اليومية

وغير خاف ما هو اجل واعظم وهو وقوف الفتى على حالة الفتاة الصحية ولست اريد بهذا تشوه الخلق او فقدها لاحدى الحواس او غير ذلك من الامور العرضية فهناك ما تهم معرفته قبل ذلك من تاريخ العائلة واذا كان قد دخلها من الامراض ما انتقل بطريق الوراثة وتخشى عاقبته اذا تم اقتران بين من به الاستعداد الأرثي لهذا المرض من العائلة و بين آخر اذ قد يشتد الداء خطارة على الطرفين بهذا الاقتران وناهيك باثره في النسل

وما غرضنا من هذا ان نقول انه اذا عزم الفتى على الزواج ان يشرع ينتقل من بيت لآخر ويتساءل عن هذه وتلك رغبة في درس اخلاق خطيبته قبل الاقتران بها فان في هذه الحال قلما يجدي تنقيبه شيئاً كثيراً اذ يكون كل ما يراه حينذاك صادراً عن تكلف وتصنع ربما خفي عليه ما به من نشوة الحب والحب اعمى وانما الاختلاط الذي نقول بوجوبه قبل الاقتران هو وجود التعارف بين الطرفين وتبادل الزيارات ومظاهر المودة عفواً بلا قصد ولا ارب وقبل ان يكون في ذهن احدهما فكر في الاقتران بالآخر او بغيره فهناك من هذا الاختلاط يكوّن الفتى رأيه في

الفتاة فيعجب بافكارها وملاحظاتها ويسر لآدابها واخلاقها فاذا عزم على الزواج دله اختباره الى ان تلك هي الجديرة بان تكون زوجته وشريكة حياته التي تزوده آراءها في مشروعاته وتحيي روح الامل من تصوراته وتجعل ايامه ايام هناء واقبال

ومن هنا ترى خطأ من ظنوا انهم حلّوا عقدة الزواج بان نبذوا العادة القديمة من التحريم على الفتاة الاسفار في الخطبة الا الى من ينتدبهن الخاطب من قريباته ونسيباته فسمحوا له برؤيتها مرة قبل تمام العقد فان هذا العمل لم يزد شيئاً في الدلالة على تقدم القوم وانتقالهم من حال الى حال احسن منها فاني لا ارى ان رؤية الخاطب لخطيبته مرة قبل زواجه بها تفيده شيء في سبيل المحبة — محبة الطباع والاخلاق — التي يجب ان تكون اساساً يبنى عليه صروح حياته الزوجية المستقبلة اذ أنّ غاية ما تعود به هذه النظرة — ولا اظن ان القائلين بها يخالفونني في ذلك — هو ان يتأكد الفتى من جمال الفتاة ومبلغه من قلبه واخشى ان يكون ما يراه من الجمال مهارة في النقش بالالوان ودقة في ترصيع الذهب والماس اذ لا سبيل الى نكران ما يفعله اهل الخطيبة في تلك المقابلات الرسمية كما اسميها

ليت شعري لو ان هذا هو كل ما ينشده المرء من الزواج الا وهو وجه يتيه على البدر حسناً يكون زينة المحافل وفتنة لكل ناظر لما كان اسهل الحصول عليه بين البواغي والغانيات

الزواج سر مقدس قال فيه «سلفانوس» الامريكاني انه الرسم السماوي الوحيد الذي بقي لنا من نعم الفردوس مسكننا الاسبق . هو سر به « لا يزال الفتى ناقصاً في كيانه . خفيّاً في ميدان زمانه . وحيداً منفرداً حتى يضم تلك الضلع الى جنبه ويرجع هذا الجزء الى شأنه : تلك حكمة الخالق لو لم يجد المرء ناقصاً لم يخلق له تكميلاً ولو رأى آدم وحده جميلاً ما جعل له حواء تجميلاً . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً . »

وهنا لك ان تذهب بكلامي كيفما تشاء . فليس الزواج بمكمل للنقص المادي فقط . ولا للأدبي فقط ولا للكمالي كما يتوهم البعض فقط بل هو المكمل لكل

شي و بدونه يبقى ناقصاً كل شيء

فالرجل لا يبرح ما له مبدداً في القهاوي والملاهي ضائعاً ما بين الخبّاز والغسّال والطاهي حتى يهتدي الى ضالته التي تدبر بيته وتذيقه حلاوة الاقتصاد

كذلك يظل الشاب عرضة للزلل واخطار السير وورود موارد التهلكة . يبذل قواه وينفق جهده في سبيل التغلب على محرضات السوء فما ينجو منها الا بعد طول العناء ودوام الصبر والمثابرة على الجهاد . لكنه لا يفتأ شاعراً بنقص في حاله الادبية لولاه ما وجدت هذه المحرضات سبيلاً لاعتواره . فما يزال كذلك حتى يسد عوزه الادبي هذا بالاقتران

ايضاً . يبقى المرء قبل زواجه منغصاً في عيشه بحسب عمله مشقة قضى بها عليه او نكداً في طالعه او عذاباً من الله فيبيت الليل مكتئباً مهموماً من اجل كلمة وتحدثه نفسه بالانتحار من اجل اخرى حتى تأتيه تلك الخليلة التي تكون بلسماً لجراحه ومفرجاً لكروبه فتصور له الشتاء هناء والعناء لذة وسعادة

هذا غيض من فيض وقطرة من غيث مما يصور لنا اهمية مركز المرأة وعظم شأنها وانها ارفع واكثر من انها مجرد واسطة في جلب المسرات وتوفير الانشراح بجمالها الفتان او رقة الغزل

او قل على الاقل هو ما ينبغي ان تكون عليه المرأة وما ينبغي ان يتطلبه الخاطب في خطيبته . فهل بعد هذا نقول ان من وراء نظرة قبل الزواج يأمل الفتى تحقيقاً لامانيه في زوجته المستقبلة و يرجو ان تشغل عنده تلك المراكز ؟ ؟ ؟

هذه كلمة عنت لي في موضوع الناقدين الافاضل اطرحها على بساط العرض عسى ان يكون فيها ما يزيح عن الامر غباره ويجلي حقائقه للقارئين

اسكندر ابراهيم يوسف